:تمثيلات البيئة في القصة القصيرة القطرية

Environmental Representations in Qatari Short Stories

الباحثة بشاير فارش الشمري
97qatar@gmail.com.
الدكتور عبد الحق بلعابد
belabed_moh@yahoo.fr
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر

تاريخ الاستلام: 2024/03/23 - تاريخ القبول: 2024/03/26 - تاريخ النشر: 2024/06/01

ملخص: لقد عرفت الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة، تحولات كبيرة على مستوى المناهج والمقاربات، خاصة أن العديد منها أصبحت تنفتح على الدراسات البينية التي تمكنها من الإجابة عن أسئلة لم تتمكن المناهج النسقية أن تجيب عنها، ولهذا ظهر النقد الثقافي والدراسات ما بعد الكولونيالية، والنقد البيئي، وهذا الأخير الذي يحاول كشف عن تمثيلات البيئة داخل النصوص الأدبية، لأن هدف الأساس هو التركيز على حضور البيئة في نص ما، وهذا ما سنحاول استنطاقه من خلال بعض النصوص القصصية القطرية خاصة قصة أنا الياسمينة البيضاء للكاتبة القطرية دلال خليفة.

كلمات مفتاحية: تمثيلات – البيئة – القصة- القصة القصيرة القطرية- النقد البيئي

المؤلف المرسل: عبد الحق بلعابد، **الإيميل**: belabed_moh@yahoo.fr

Environmental Representations in Qatari Short Stories

Abstract: Modern and contemporary critical studies have witnessed significant shifts in curricula and approaches, especially with many embracing interdisciplinary studies that allow for addressing questions traditional methodologies couldn't answer. Thus emerged cultural criticism, postcolonial studies, and Ecocriticism. The latter seeks to uncover representations of the environment within literary texts, aiming to focus on the presence of the environment in a given text. This is what we will attempt to examine through some Qatari short stories, particularly "Ana Al-Yasmeena Al-Baydaa" (I Am the White Jasmine) by Qatari writer Dalal Khalifa.

Keywords: Representations, Environmental, Story, Qatari short story, Ecocriticism.

مقدمة:

__لقد عرفت الدراسات النقدية الحديثة والمعاصرة، تحولات كبيرة على مستوى المناهج والمقاربات، خاصة أن العديد منها أصبحت تنفتح على الدراسات البينية التي تمكنها من الإجابة عن أسئلة لم تتمكن المناهج النسقية أن تجيب عنها، ولهذا ظهر النقد الثقافي والدراسات ما بعد الكولونيالية، والنقد البيئي، وهذا الأخير الذي يحاول كشف عن تمثيلات البيئة داخل النصوص الأدبية، لأن هدف الأساس هو التركيز على حضور البيئة في نص ما، والكشف عن مقصدية الكاتب الجمالية الناتجة عن وعي بيئي، فهو بذلك مفهوم شامل لمجموعة من المقاربات النقدية التي تعمل على تمثيل العلاقة بين البشر وغير البشر من خلال الأدب أو أي شكل من الأشكال الثقافية الأخرى، ويكون ذلك من منظور القلق من تأثير البشر المدمر على المحيط البيئي، وهذا ما سنحاول استنطاقه من خلال بعض النصوص القصصية القطرية خاصة قصة أنا الياسمينة الخضراء للكاتبة القطرية دلال خليفة.

1- النقد لبيئي : علاقة الأدب بالبيئة:

توجد علاقة متينة بين الأدب والبيئة وتظهر هذه العلاقة من خلال النقد البيئي الذي يدرس تمثيلات الطبيعة في الأعمال الأدبية والخطابات النظرية وأيضاً يدرس العلاقة بين الأدب والبيئة وانعكاس علاقات البشر ببيئتهم في الأدب، فالنقد البيئي يربط بين العلم الطبيعي (علم البيئة) والمعرفة الإنسانية (النقد الأدبي)، وهو مجال شديد الاتساع ويتم تطبيق هذا النوع من النقد على العديد من الأجناس الأدبية فلا

يقتصر على جنس أدبي محدد، وإلى جانب دراسة النقد البيئي للعلاقة بين الأدب والبيئة، فهو يغطي فروع معرفية أخرى مثل: العلم، الأدب، الأنثروبولوجيا وعلم النفس .. وغيرها الكثير، والنقد البيئي ليس مجرد تطبيقٍ للعلوم وللمبادئ البيئية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى دراسة الأدب والمقاربة النظرية بالإضافة إلى العلاقة بين الطبيعة والثقافة؛ كما أنه يدرس اللغة والتي تعد دراستها أمراً أساسياً في غاية الأهمية لأن الأدب يعبّر من خلالها، وقد اهتم العديد من الكتّاب والشعراء من مختلف الثقافات حول العالم بالطبيعة وقضاياها، وتمثل ذلك من خلال مؤلفاتهم كالقصائد والروايات والقصص وغيرها من الأجناس الأدبية الأخرى، ويدرس ناقد الأدب نصوص الكتّاب الأدبية التي تتناول علاقة الإنسان بالطبيعة، والسبب وراء اهتمامهم بهذه العلاقة يعود إلى زيادة طمع البشر واستغلالهم للطبيعة، وشكّلت الطبيعة قضية أساسية في معظم المؤلفات الأدبية الإنجليزية، وقد دمّرت الكولونيالية أماكن مختلفة من العالم، فاختلف موقف الإنسان تجاه الطبيعة في تعبيره الأدبي بشكل كامل باختلاف البيئات الاجتماعية والثقافية للعالم، اتسع مجال النقد البيئي ليشمل عدداً أكبر من النصوص والنظريات التي تدرس العلاقة بين الإنسان والبيئة وأصبحت الدراسات البيئية الأدبية من خلال مجاز الطبيعة والنسوية وعلاقة الرجل والمرأة والسياحة والثقافة وغيرها لها معان أكبر وأعمق مما تم تصويره بواسطة التعبيرات الأدبية، وتمارس العديد من الكتب الهندية المكتوبة باللغة الإنجليزية النقد الأدبي، وهناك الكثير من المؤلفات التي تجعل القضايا البيئية مركزية أساسية في محتوياتها، وفي كتب أخرى تكون هذه القضايا ثانوية2 .

ظهور الدراسات الأدبية البيئية:

كانت بداية ظهور مجال الدراسات الأدبية البيئية في منتصف الثمانينات، وازدهر في بداية فترة التسعينات، ففي عام 1985 صدر كتاب "الأدب البيئي: المواد والأساليب والموارد لكاتبه "فريدريك وايج" واحتوى الكتاب على دورات تدريبية لتسعة عشر باحثاً، وسعى الكتاب إلى زيادة حضور الاهتمامات البيئية، وتعزيز وجود الوعي البيئي في التخصصات الأدبية المختلفة، وفي عام 1989 قامت "أليسيا نيتكي" بتأسيس نشرة إخبارية أمريكية خاصة بالطبيعة، هدفها هو نشر كل ما يتعلق بدراسة الكتابة عن البيئة والطبيعة من معلومات متنوعة ومقالات عديدة ومراجعات الكتب وملاحظات صفية مهمة، وبعد مدة من الزمن بدأت بعض الجامعات في إدخال دورات الأدب ضمن مناهجها الخاصة بالدراسات البيئية، ليتم افتتاح عددٍ من المعاهد والبرامج المختصة بالطبيعة والثقافة، حيث قامت بعض أقسام اللغة الإنجليزية بفتح تخصص ثانوي جديد متعلق بالأدب البيئي، أما في عام 1990 كانت أول جامعة تنشأ أول منصب أكاديمي في الأدب والبيئة هي جامعة "نيفادا، رينو" في الولايات المتحدة الأمريكية، وخلال تلك السنوات، ظهرت في برامج المؤتمرات الأدبية السنوية جلسات عديدة متعلقة بالأدب البيئي والكتابة في مجالات الطبيعة، وأهمها ما جاء في عام 1991 "الدورة الاستثنائية 3"MLA، وجاءت بعنوان "النقد الإيكولوجي: تخضير الدراسات الأدبية" وكان منظمها هو "هارولد فروم" بالإضافة إلى "ندوة جمعية الأدب الأمريكية" في

العام نفسه، وبتنظيم "غلين لوف" وكانت بعنوان "الكتابة الطبيعية الأمريكية: سياقات جديدة: مقاربات جديدة"، وفي العام الذي يليه 1992 تشكّلت "جمعية الأدب والبيئة "ASLE برئاسة "سكوت سلوفيتش" وحدد هدفها الرئيسي مناقشة وترسيخ وتبادل الأفكار والمعلومات الخاصة بالأدب الذي يهتم بالعلاقة بين الإنسان والطبيعة، كما أن الجمعية تشجع كتابة الطبيعة والمناهج العلمية المتنوعة الخاصة بالأدب البيئي والتخصصات المتعددة للبحوث البيئية، وفي العام الذي يليه سنة 1993 أسس "باتريك مورفي" مجلة "ISLE"وهي مجلة مختصة بالدراسات المتعلقة بالأدب والبيئة كما ذكرنا سابقاً في هذا البحث، وهدفها كان توفير منتدى خاص بالدراسات النقدية الأدبية الناتجة عن الاهتمامات البيئية أو التي تعمل على معالجة المشاكل البيئية، ويدخل ضمن ذلك النظرية البيئية، الحفاظ على البيئة، المفاهيم الطبيعية بأنواعها، والعلاقة بين الإنسان والطبيعة وكل ما هو متعلق بما سبق، وفي العام نفسه أي سنة 1993 أصبحت الدراسة الأدبية البيئية مدرسة نقدية مستقلة معترف بها4.

خصائص الأدب البيئي:

لكي يوصف النص الأدبي بأنه نص بيئي يجب أن تتوفر فيه عدة خصائص، وهذه الخصائص حددها الباحثون والمختصون، فإذا توفرت في نص أدبي ما، نستطيع القول بأن هذا النص يصلح بأن يكون نصاً بيئياً، ومن أبرز هذه الخصائص: أن يستطيع النص معالجة المشكلات التي تهدد المنظومة الطبيعية، أن يسعى النص إلى رفع الوعي البيئي، وأن يتميز الكاتب بإحساسه العالي بالبيئة، فلا يمكننا القول بأن أي أدب يصف البيئة يعد أدباً بيئياً، فيجب أن يحاور الأديب الطبيعة ويتفاعل معها داخل النص من خلال التمثلات المتنوعة التي تتميز بوعيها، ويجب أن يحمل الأديب هماً بيئياً واضحاً، وأن تركز أفكاره على الاندماج والتناغم مع الطبيعة داخل النص، بالإضافة إلى توقع هذه النصوص العواقب الكارثية الناتجة عن تدمير الطبيعة، كما أن لغة النصوص من حيث المعجم والتراكيب يجب أن تدعم الأفكار البيئية، ويجب أن يعبّر عن هذه الأفكار من الناحية الجمالية من خلال الخيال الذي يعمل على تنمية الجوانب الأخلاقية والجمالية لدى القارئ في تعامله مع المنظومة الطبيعية، وهناك مجموعة من الشروط التي وضعها "فيكتور بوستنيكوف" الخاصة بالشعر البيئي والتي تناولها في إحدى مقالاته التي جاءت بعنوان "الشعر الإيكولوجي"، ومن أهمها: أن يقوم الشعر على الحدس، أن يتفنن الشاعر بالأساليب، وأن يركز على العمق الفلسفي والجانب الروحي، أن يتميز الشعر بالتناغم والبساطة، ومن الأمثلة التي وضعها لهذا النوع من الشعر هو شعر "طاغور، جوته، والت وايتمان" وغيرهم5.

2-توظيف قضايا البيئة في القصة القصيرة القطرية:

إن ظهور فن القصة القصيرة في دولة قطر يدل على تطور التجربة الثقافية والفكرية تطوراً ملحوظاً، والبداية للقصة القصيرة في قطر كانت بداية قوية، فقد عبرت عن كل ما عبرت عنه القصة الخليجية من

مضامين، ولكن على الرغم من ذلك فإن القصة القصيرة القطرية ما زالت تنحصر ضمن إطار فني محدد، ولم تتطور من الناحية التقنية من حيث توظيف أسلوب المسرح والسينما كما هو الحال في دولة الكويت ومملكة البحرين6، إلا أنه في سنوات التسعينات مع الكتاب الجدد على رأسهم القاص جمال فايز ونورة آل سعد وغيرهما عرفت طريقها نحو التجريب القصصي.

ومن هذه الطرائق التجريبية القصصية تشكل للكاتب القطري وعي كبير بالبيئة وقضاياه وهذا بحكم طبيعة المكان الذي جمع بين البيئة الصحراوية من جهة، والبيئة البحرية الساحلية من جهة أخرى، فقد وجدنا العديد من كتاب القصة في قطر يحملون وعيا بقضايا البيئة وكيفية حمايتها واقعاً وسرداً، واتضح ذلك الوعي من خلال كتاباتهم في القصص سواء على مستوى العنوان أو على مستوى القضايا المعالجة، وسنعرض فيما يلي بعض النماذج من القصة القطرية التي اتضح فيها وعي الكاتب القطري بالبيئة عامة وببيئته على وجه الخصوص، مثلا:

البحر وعبد الله – ناصر عبد الله المالكي:

تركز هذه القصة على علاقة الإنسان بالبحر وتتضمن تلك العلاقة علاقة أهل القرية بالبحر قديماً بشكل عام، وعلاقة عبدالله نفسه بالبحر بشكل خاص، فشكل البحر المصدر الرئيسي لرزقهم، فتحلل القصة علاقة عبدالله بالبحر، وكيف بدأت قصة حبه للبحر منذ طفولته من خلال قصص أمه عنه، وأصبحت العلاقة قوية لدرجة أن البحر كان ملجأه عندما يشعر بالحزن، فكان يتحدث معه ويعاتبه ويشكو إليه، وعمل عبدالله في البحر ويبدأ بتقديم العديد من التساؤلات التي لم يجد لها جواباً للبحر ومنها: أحاديث والدته حول حقيقة غضب البحر وغيرها الكثير من الأسئلة7، وهذا يوضح مدى تعلق أهل قطر بالبحر الذي يعدونه مسكنهم وسكينتهم، وهنا تظهر العلاقة الكبيرة بين الطبيعة حيث تتلاشى المركزيات بين الإنسان والبيئة فكل واحد يكمل الآخر.

شجرة التوت – سهيلة آل سعد:

تصف القصة طفولة الشخصية الرئيسية من خلال التركيز على المكان مع تسليط الضوء على مكون من مكوناته وهو الجانب النباتي "الأشجار"، والتي أدت إلى نشوء علاقة وطيدة بين الشخصية والمكان، فتصف الشخصية مسترجعة لأحداث من الزمن الماضي ثلاثة أنواع من الأشجار "السدرة"، "شجرة التين" و"شجرة التوت"، ووصفت علاقتها وعلاقة إخوتها بتلك الأشجار في منزلهم ومدى تعلقهم بها، وكان بقرب الأشجار موقف خاص بسيارة والدهم، وحاول أطفال الحي بواسطة السقيفة الخشبية الخاصة بالموقف الحصول على ثمار شجرة التوت ولكن سقطت السقيفة وغضب الأب، وبعد ذهاب الساردة للمدرسة كانت تشعر بأن ذهابها حرمها متعتها بهذا المكان فكانت تحسد إخوتها على بقائهم في المنزل، وانتهت تلك العلاقة الجميلة بعد مرور الزمن وتقدم عمر الشخصية الرئيسية "الساردة8.

تمثلات البيئة في المكونات السردية للقصة القطرية:

العنوان والعتبات البيئية:

ولما كانت الشعريات عند ج.جينيت موضوعها العتبات الباحثة عن شعرية العناصر المناصية9، انسحب هذا على الاشتغالات البيئية للمداخل النصية، فوجدنا من الدارسين من يشتغل على الشعرية البيئية10 التي من بين ما تدرسه العتبات الخضراء التي يحاول من خلالها الكاتب إظهار وعيه البيئي من عتبات نصوصه السردية.

وأهم عتبة خضراء في شعرية العتبات البيئية نجد العنوان، فقد عرف العنوان بأنه أولى العتبات النصية التي يوليها الكاتب اهتماماً بالغاً لما تحقق له من وظيفة جمالية من جهة، ووظيفة إشهارية وتجارية من جهة أخرى، لهذا أصبح للعنوان علماً قائماً بذاته بعدما أسس له جينيت في عتباته، لهذا حالت العديد من الدراسات البلاغية واللسانية والسيميائية والتداولية تقديم تعريف لهذه الكلمة أو الجملة النصية المختصرة التي تطرح سؤال نصها السردي في أوله11؛ كونه حلقة أساسية من حلقات بناء الاستراتيجية النصية، على الرغم من الإشكالات التي يطرحها أثناء التحليل والتحديد، وضبط الوظائف، لأنه منجم من الأسئلة بتعبير جينيت، وهذا ما ذهب إليه (لوي هويك) مؤسس علم العنونة لما رأى فيه أنه مجموعة العلامات اللسانية، من كلمات وجمل، وحتى نصوص، قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعيّنه وتشير لمحتواه الكلي، ولتجذب جمهوره المستهدف12، فهو علامة للنص السردي كونه عنصر من مجموع العناصر المكونة للنص السردي، فهذا التحديد قد جمع فيه (هويك) كل المستويات العلمية للعنوان سواء كانت لسانية، أو تركيبية، أو دلالية، أو تداولية، ويمكن أن نجد لها مدخلاً بيئياً حتى إذا وسعنا فيها النظر.

لهذا تميز العنوان الأخضر البيئي بحضور المفردات البيئية، ويمكن أن نمثل لذلك بعنوان رواية "البحريات" للكاتبة "أميمة الخميس"13، فهنا يحضر أحد أهم عناصر الطبيعة في العنوان والذي يتميز بجماله الخاص كجمال أمواجه، رماله، وأهله ويومياتهم وثقافتهم، أما بالنسبة إلى صورة الغلاف فعادة ما تشير إلى عناصر بيئية عديدة، وهذه العناصر تحمل دلالات معينة مثل ما جاء في صورة غلاف الرواية نفسها، فعلى الغلاف صورة لامرأتين كل واحدة منهما مغمضة العينين وترتدي ملابس مزخرفة بخطوط وأشكال هندسية ويحيط بهما قواقع حلزون متعددة وخيوط عنكبوتية ذات لون أبيض تشكّل بعض الأشكال الهندسية المعينة، وكل ما سبق جاء على خلفية سوداء، وكتب اسم الكاتبة والعنوان والمؤشر الأجناسي باللون الأبيض، وهنا لا تعنينا دلالات الألوان ولا حالة المرأتين بل ما يعنينا هو العناصر البيئية الموجودة على الغلاف وما هي دلالاتها، فقواقع الحلزونات استخدمت قديماً كرمز لجسد الإنسان الذي يحيط بروحه من الخارج والروح التي داخل الجسد تتمثل بالرخوية والجسد يموت عندما تفارقه الروح كذلك القوقعة تتوقف حركتها عندما يفارقها الحيوان الذي بداخلها، أما بالنسبة إلى خيوط العنكبوت فهي تدل على الوهن كما جاء

في القرآن الكريم في سورة العنكبوت14، وأيضاً تحمل دلالة أخرى وهي الدقة والإحكام في الصنع، وهما في غلاف الرواية يشيران إلى ما ستعانيه المرأتين من مخاطر مجهولة وسجنهما خلف قضبان ظاهره القوة وحقيقته الضعف والوهن15.

العتبة الخضراء في قصة (أنا الياسمينة البيضاء):

تتكون المجموعة القصصية (أنا الياسمينة البيضاء) للكاتبة دلال خليفة من ست عشرة قصة قصيرة، أولها قصة (أنا الياسمينة البيضاء)، وهي عنوان المجموعة القصصية، ودائماً ما يختار الكاتب عنواناً مركزياً لمجموعته يكون بالنسبة له علامة جامعة لدلالات العناوين الداخلية للمجموعة، كما يمكن أن يأتي بعنوان مستقل عن المجموعة القصصية16، وقد اختارت دلال خليفة الاستراتيجية الأولى، باختيارها عنوان (أنا الياسمينة البيضاء) ليكون العنوان الجامع لمجموعتها القصصية الذي وجدت فيه وعياً بيئياً واضحاً على رمزية الصفاء للياسمينة البيضاء وإن شابها بعض الكدر أو الغموض أو الشقاء أو اللاأمن كما تبرزه بعض العناوين الداخلية للمجموعة القصصية بعضها ربط بمضامينها النصية؛ مثلاً: (أنا الياسمينة البيضاء، لنفسها صنعت غابة، الشاحنات، النافذة المضيئة، أشياء فوق بنفسجية، الكائن والطفل...)، أما القصص الأخرى لم ترتبط عناوينها بالبيئة بشكل مباشر إلا أن مقتضياتها النصية يمكن أن تؤول بيئياً لأن دلالة الأبيض الذي تشع به الياسمينة البيضاء على كل المجموعة القصصية موجود في أنساقها المضمرة مثل عناوين قصص : (الثقب، اللوحة، الحقائق، نظريات، أعتقد أني أحبك، في جيبي، المفاجأة الكبرى، صديقتي ودعني أرحل)؛ لأن الكاتبة في الأول والأخير تبحث فيها عن العدالة الاجتماعية من جهة والعدالة البيئية من جهة أخرى، وكل هذا للوصول إلى التصالح مع المجتمع والبيئة والذات.

وبهذا لعب العنوان الرئيسي للمجموعة القصصية دور الجملة الجوالة داخل قصة (أنا الياسمينة البيضاء)، ليربط عتبة العنوان بنصها، بحيث سيتواجد العنوان في كل المشاهد القصصية بداية من الجملة القصصية الافتتاحية المؤطرة لأحداث القصة17، إذ تقول الكاتبة: " تتأثر الأزهار برشاقة. أخذت تعلو وتهبط وتثير البهجة. تجتمع باقة حلوة ثم تتناثر في الفضاء في مرح ورشاقة. الأنغام تأتي واحدة واحدة...قفزت الياسمينة في الهواء ودارت حول نفسها برشاقة ورقة..."18 ، وهذه الرشاقة والخفة والرقصة على أنغام البيئة والطبيعة العذراء، ستكمل فيها هذه الياسمينة البيضاء على الرغم ما شهدته الأحداث من تحولات وتغيرات، لتأتي الجملة القصصية الختامية منسجمة ومتسقة مع جملتها القصصية الافتتاحية تسمعنا أنغام الطبيعة ورقصات الياسمينة في بيئتها البيضاء الصافية وأمام جمهورها في سمفونية كونية للفصول الأربعة، تقول: "في اليوم التالي كان جمهور الياسمينة يشاهدونها وهي تحلق بلا توقف، اشتعلت شمس الصيف فوق رؤوسهم وهي تغني وتحلق وتساقطت أوراق الخريف عليهم وهي تغني وتحلق وهطلت أمطار الشتاء وتفتحت أزهار الربيع وهي ما تزال تغني وتحلق..."19

كما تحيل دلالة صورة غلاف المجموعة على عنوانها محققة الوظيفة الشارحة له20، فقد جاءت صورة الغلاف باللون الوردي وكُتب عنوانه الرئيسي (أنا الياسمينة البيضاء) باللون الأبيض بخطٍ عريضٍ مائلٍ إلى الأعلى ويدل اللون الأبيض لون صفاء الطبيعة ونقائها هنا على لون زهرة الياسمين المتميزة بلونها الأبيض والتي يشير إليها عنوان الكتاب، وكُتب تحته (قصص قصيرة) باللون الأسود وبخط أصغر مائلٍ إلى الأسفل، وأسفل الغلاف (دلال خليفة) باللون الأسود أيضاً، وفي زاوية الغلاف من جهة اليمين بجانب اسم الكاتبة صورة لزهرة الياسمين البيضاء التي ستستلهم الكاتبة معجمها القصصي من البيئة التي تنمو فيها هذه الزهرة لتحاكي بها الواقع تارة، وتجعلها حلماً تهرب إليه بعيداً من ملوثات المجتمع تارة أخرى؛ إذ تعد زهرة الياسمين من أشهر النباتات الموجودة حولنا، تتميز بجمالها وتكثر زراعتها بشكل واسع في الحدائق والمدارس والمنازل وتستخدم في صناعة العديد من العطور وعلاج بعض الأمراض، مما يجعلها محبوبة ومألوفة من قبل معظم الناس21، فارتبط العنوان الرئيسي وصورة الياسمينة البيضاء ارتباطاً وثيقاً بالبيئة.

2- الشخصية القصصية والبيئة

الشخصية القصصية

تعد الشخصية من أهم المكونات السردية للقصة أو الرواية، لأهميتها في تحريك الأحداث وتأثير الأزمنة والأمكنة السردية متعددة الأصوات تارة، ومختلفة وجهات النظر تارة أخرى، لهذا كله تعددت تعريفاتها ومفاهيمها عند المتخصصين في الدراسات السردية22؛ ولكنها بشكل عام كانت تركز على اتجاهين في تعريفها للشخصية وهما: المظهر الخارجي للشخصية وسلوكها العام، والاتجاه الآخر هو جوهر الشخصية وطبيعتها الداخلية وما تتضمنه من أفكار وقيم ومبادئ23.

توصّل عدد من الباحثين إلى تعريف إجرائي للشخصية فعرّفوا الشخصية بأنها: المفهوم أو الاصطلاح الذي يصف الفرد من حيث هو كل موحد من الأساليب السلوكية، والإدراكية المعقدة التنظيم، والتي تميزه عن غيره من الناس، وخاصة في المواقف الاجتماعية، وتكمن أهمية التعريف السابق في الكشف عن عدد من الجوانب الأساسية لبنية الشخصية وأهمها مضمون الشخصية، حدود ووجود الشخصية، كما أنه يعمل أيضاً على تفكيك عناصر بنائها24.

أما "جورج لوكاش" فيرى أنه كل عمل أدبي كبير لا غنى له عن عرض شخصياته في تآزر وتعاون شامل في العلاقات مع بعضهم البعض25.

أما "واطسون" فيقول في مجال الشخصية أنها كل أنواع الأنشطة التي نلخصها عن فرد ما من خلال ملاحظته ملاحظة دقيقة لمدة كافية من الزمن تمنحنا القدرة على التعرف عليه، أي أن الشخصية تمثل النتاج النهائي لمجموعة من العادات عند فرد ما26.

أما عند "فلاديمير بروب" فيرى أن الشخصية عبارة عن وظيفة ينظر إليها حسب دورها في تطور الحبكة في القصة ويقصد بذلك أن وظائف وأفعال الشخصيات ثابتة ولكن الشخصيات نفسها تتحرك في مجال محدد فتختفي وتظهر في مراحل معينة ويستثنى من ذلك "البطل"27.

وتعد الشخصية عنصراً أساسياً لا غنى عنه في جميع النصوص السردية كالقصص والروايات وغيرها، فهي محور الحركة فيها لأنها تصدر الأفعال والأقوال والأفكار المختلفة وتقود العمل السردي من البداية إلى النهاية، فهي حسب ما قاله تودوروف "موضوع القضية السردية" ويرى رولان بارت أنه لا يوجد سرد في العالم من دون شخصيات، وتتفاعل الشخصيات مع بقية عناصر العمل السردي وترتبط فيها ارتباطاً وثيقاً، ويمثل حوار الشخصية ظروفها النفسية والاجتماعية وانتمائها الثقافي، وتتحرك الشخصية في الفضاء السردي الروائي والقصصي بما يتضمنه من مكان وزمان، ويقوم الحدث بالكشف عن توجهاتها ورغباتها لتعبر في النهاية عن الرؤية السردية التي يرغب بإيصالها القاص والروائي، فالشخصية ركن رئيسي وفعال في العمل السردي28.

الشخصية القصصية والبيئة:29

نجد أن للشخصية واقعية وتخييلية علاقة وطيدة بالبيئة، فهي الموئل والمآل، والمكان الذي نشأت فيه، وفتحت عليه أعينها، لهذا تعرف الشخصية في علاقتها بالطبيعة بمدى وعيها بقضايا بيئتها، والرهانات التي تحملها لرعايتها وحمايتها من تهديدات الإنسان الذي لا يعرف حقوقها ويحاول هدرها.

فلهذا يمكن تعريف الشخصية السردية من منظور بيئي، بأنها ذلك الكائن التخييلي الذي يحمل وعياً بيئياً بمقدرات الطبيعة، ويلعب دور الحامي والحارس لأنهارها وأشجارها وكافة مقدراتها...داخل المجتمع السردي محققاً العدالة البيئية أمام مركزية الإنسان وسلطته، وبهذا تكون الشخصية البيئية السردية تمثيل للشخص الواقعي الذي يبحث عن حلول لقضايا البيئة، بل وضع أخلاق بيئية في هذا العالم الذي لم يجد حلولاً لا للتغيرات المناخية، ولا توصل للتقليل من الانبعاثات الكربونية الملوثة التي تسارع بنهايته30.

الشخصية البيئية في (أنا الياسمينة البيضاء):

وبعد تحديدنا للشخصية البيئية من حيث هي دور مكتوب داخل النص السردي، وكائن ورقي يحمل وعياً بيئياً يحاول من خلاله عرض قضايا الطبيعة وما يهددها من مخاطر، محاولاً وجود حلول لها يمكن أن يشاركها مع القارئ الواقعي، لهذا وجدنا البنية المهيمنة في القصة القصيرة (أنا الياسمينة البيضاء) هي بنية الشخصية ذات البعد البيئي31، فتدور أحداث القصة حول طفلة صغيرة في الروضة تشارك في عرض مسرحي مع زميلاتها وتؤدي دور الياسمينة البيضاء، أما زميلاتها فيؤدين دور الوردة الحمراء، القرنفلة، النرجسة وعصفور الجنة وغيرها من الأزهار، لكن الياسمينة البيضاء بالرغم من جمالها ورشاقتها وصفاتها التي تشبه زهرة الياسمين في كل شيء، إلا أنها لا تستطيع حفظ كلمات أغنية العرض جيداً، مما أثار غضب مديرة الروضة التي أخبرت المعلمة المسؤولة أن الطفلة لا تصلح لأداء دور الياسمينة البيضاء.

فركزت الكاتبة من خلال القصة على مجموعة من القيم البيئية أولها هي القيمة الجمالية للمنظومة الطبيعية فقالت:

"ولكنها ياسمينة بيضاء حتى لو سقطت مائة مرة وعليهم أن يعوا ذلك .. إنها ياسمينة، ياسمينة! ولكن كيف تقنع الكون أنها ياسمينة إذا كانت تجهل الأغنية؟ كيف تفهمهم أنها ياسمينة صغيرة عندما تكبر ستستطيع أن تغني؟ هذه الأوراق البيضاء وهذا العود الرقيق وهذا الشذا لا تكفي مجتمعة لإقناع أولئك القضاة الحمقى بأنها ياسمينة ...".32

وفي اقتباس آخر تبرز الكاتبة قيمة بيئية أخرى مهمة وهي نبذ ثقافة الاستعلاء والعنصرية تجاه البيئة:

"الياسمينة مخلوق هش، كل المخلوقات الكبيرة تستطيع قطفها وتمزيقها، وأحياناً يلقون بها على الأرض لتدوسها الأقدام، وأحياناً تسحق وتلتصق بالأحذية .. ولكن كل هذا مقبول إذ أنها تظل ياسمينة، أما أن يجتمعوا ويقرروا أنها ليست ياسمينة فهو ما لا تحتمله".33

فهنا تظهر الكاتبة مدى قسوة بعض البشر وتسلطهم على الكائنات البيئية الضعيفة وتدميرها، كما أنها تؤكد أن هذه التصرفات السيئة تجاه تلك المخلوقات لن يؤثر على قيمتها الحقيقية مهما تعرضت للأذى، ويتجلى في هذا المشهد القصصي التسلط على البيئة وقمعها في رغبة المديرة باستبعاد الطفلة من العرض لعدم قدرتها على حفظ كلمات الأغنية بالرغم من أنها كانت تتمتع بالجمال والرشاقة والقدرة على الرقص.

وتسلط الكاتبة الضوء على قيمة بيئية ثالثة، وهي الإعلاء من قيمة الانتماء إلى المنظومة الطبيعية وهي تناشد العدالة البيئية، فعندما كانت المشرفة تدافع عن الطفلة الصغيرة، أو لنقل تدافع عن الحقوق البيئية للياسمينة البيضاء، وهي تظهر إعجابها برقصها وأدائها شبهت المشرفة الطفلة بالنحلة ثم اليمامة في أدائها للعرض من شدة إعجابها بالطفلة، بدأت تذكر صفات بعض الكائنات الحية في بيئتنا الطبيعية وقدراتها المثيرة للدهشة بشكل دقيق، فتجعل الكاتبة القارئ يتفكر في خلق الله سبحانه وتعالى ويدرك العلاقة التي تربطنا بتلك المخلوقات وأوجه التشابه والاختلاف بيننا وبينها في القدرات، فقالت:

"هل رأيتن كيف تطير النحلة؟ كيف تحلق وتطير طيراناً مخملياً؟ حريرياً؟ لا أعرف كيف أصفه، حتى الفراشة لا تطير مثله إذ أننا في النهاية نشعر أنها تطير.. تحرك أجنحتها وتطير، أما النحلة فهي لا تطير إنها تسبح، لا لا .. حتى هذه الكلمة غير مناسبة إنها .. إنها .. إنها لا تبذل أي مجهود على الإطلاق إنها .. تطفو .. أيضاً لا لأن الطفو يحدث بلا إرادة أما النحلة فإنها تتحرك بإرادتها ولكنها لا تبذل أي مجهود ...".34

"هل رأيتن كيف كيف تتحرك وتدور؟ كيف تعلو وتهبط وكأنها يمامة".35وبرزت بنية الشخصية البيئية في قصص أخرى من نفس المجموعة مثل قصة: نظريات والكائن.

الخاتمة:

نجد بأن النقد البيئي أصبح من بين المقاربات البينية الحديثة التي تمكننا من تحليل النصوص السردية من وجهة نقدية مغايرة، تناصر القضايا العادلة وتحاول وجدود حلول لها، فلهاذا كان النقد البيئي يحاول التقريب بين الأدب والبيئة من جهة والإنسان والبيئية من جهة ثانية، لتشكيل وعي بيئي جديد يتماشى مع القضايا المتجددة في العالم، وهذا ما يشكل وعيا بيئيا لدى المثقف العربي، وهذا ما وعى به الكاتب القطري، فانخرط في مثل هذه الكتابة عن الطبيعة، فظهرت تمثيلات البيئة في نصوصه القصصية، إما ممثلا لها من خلال مداخله النصية أي عتبات قصصه التي يحاول أن يبقيها مخضرة دائما، أو من خلال اخضرار مكوناته السردية القصصية، وهذا من خلال أزمنته وأمكنته وشخصياته، وهذا ما وجدناه في القصة المحللة لدلال خليفة إذ مثلت لنا شخصية بيئية تحاول أن تناصر قضايا البيئة وتحامي عنها واقعا وسردا، لهذا نرى أن التوجه نحو الكتابة عن البيئة والأوبئة والكوارث والحروب هي الموضوعات التي ستتسيد هذه الألفية لهذا على الناقد أن يجهز عدته النقدية الجديدة لمقاربتها مقاربة متعددة التخصصات.

الهوامش:

Lawrence Buell, Ursula K. Heise, and Karen Thornber, Literature and Environment, Literature and Environment, The Annual Review of Environment and Resources is online at environ.annualreviews.org, This article's doi: 10.1146/annurev-environ-111109-144855

2نجاح الجبيلي، النقد البيئي: مقدمات، مقاربات، تطبيقات، دار شهريار للنشر والتوزيع، العراق، 2021، ص223.

3 Modern Language Association

4وداد نوفل، النقد البيئي الإيكولوجي بين التأصيل التأسيسي والمفاهيمي والطرح التطبيقي، جامعة المنصورة، مصر 2023، ص152.

5هاني علي، النقد الأدبي البيئي: قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية وممارسة تطبيقية على قصة "رأيت النخل" لرضوى عاشور، جامعة الفيوم، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، المجلد 26، العدد 2، مصر، يناير 2022، ص464.

6ماهر فهمي، ملامح القصة القصيرة في الأدب القطري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية، جامعة قطر، 1983، ص20-22.

7صبري حافظ، القصة القصيرة في قطر: بيبليوجرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي، وزارة الثقافة والرياضة، قطر، 2016، ص529.

8المرجع السابق، ص599.

9ينظر: عبد الحق بلعابد، عتبات (ج. جينيت من النص إلى المناص)، ص 26 وما بعدها.

10وللتعمق في مفهوم الشعرية البيئة واشتغالاتها، يمكن الرجوع لكتاب:

Knickerbocker, Scott. Ecopoetics: The Language of Nature, the Nature of Language. Boston: U of Massachusetts P, 2012.

11جمال بوطيب، العنوان في الرواية المغربية (حداثة النص، حداثة محيطه)، ضمن كتاب الرواية المغربية وأسئلة الحداثة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، 1996، ص193

12ينظر: عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2011، ص 9 وما بعدها.

13رجعت لتمثيل لعتبة العنوان البيئي إلى دراسة أبو المعاطي الرمادي، الأسوجة الخضراء في البحريات لأميمة الخميس قراءة نقدية من منظور إيكولوجي، ضمن الكتاب الجماعي: النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات، ص 107 وما بعدها.

14سورة العنكبوت: 41.

15مجموعة من المؤلفين، النقد البيئي: مفاهيم وتطبيقات، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2022، ص109.

16ينظر بخصوص العناوين الداخلية، عبد الحق بلعابد، عنفوان الكتابة ترجمان القراءة (العتبات في المنجز الروائي العربي)، دار الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2013، ص86 وما بعدها.

17لفهم اشتغال الجملة الافتتاحية والجملة الختامية في النصوص السردية، يمكن الرجوع لكتاب عبد الحق بلعابد، عنفوان الكتابة ترجمان القراءة، ص237 وما بعدها.

18القصة، ص7.

19القصة، ص20.

20المرجع السابق، ص 55 وص301 وما بعدها.

21نجاة محمد، اقتباس وتوظيف المظاهر الجمالية لزهرة الياسمين وأوراق شجرة اللبخ في تصميم الثوب السوداني: دراسة فنية تطبيقية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، 2016، ص281.

22ينظر فانسون جوف، وهو يتحدث عن مأزق الدراسات حول الشخصية في كتابه المهم: أثر الشخصية في الرواية، ترجمة: حسن أحمامة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، سوريا، 2012، ص 13.

23سناء العبيدي، الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2016، ص15.

24سميرة معزيز، بنية الشخصية في القصة القصيرة الجزائرية: طيناء وقصص أخرى "باديس فوغالي" أنموذجا، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، 2010، ص25.

25المرجع السابق، ص25.

26المرجع السابق، ص25.

27ينظر: حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991، ص23 و ص50.

28 سناء العبيدي، الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2016، ص18.

29للتعمق في العلاقة بين الشخصية والبيئية في الأعمال السردية، يمكن الرجوع إلى هذه الأطروحة المهمة في الموضوع:

Elliot Weeks, Novels of Character and Environment: Thomas Hardy's Ecological Thought, School of Humanities, Department of English, University of Bristol, 2021.

30ينظر حول الشخصية البيئية وكيف يمكننا تمثيلها في النصوص السردية، وهذا بالبحث عن أخلاق بيئة وعدالة بيئية في هذا العالم الذي يهددها بالانقراض والزوال الكتاب المهم وخاصة مقدمته التي تؤسس لأطروحة صاحبه:

Ronald L. Sandler. Character and Environment: A Virtue-Oriented Approach to Environmental Ethics. New York: Columbia University Press, 2007, p.

31ومن بين البحوث التي استخدمت مفهوم الشخصية البيئية وقاربتها من منظور النقدي البيئي، بحث: عبد الحق بلعابد :

الرواية البيئية في السرد القطري (مقاربة في النقد البيئي لرواية دنيانا مهرجان ...الأيام والليالي لدلال خليفة)، مجلة أنساق، المجلد السابع، العدد الأول، 2023، ص 25.
https://doi.org/10.29117/Ansaq.2023.0173

32دلال خليفة، أنا الياسمينة البيضاء: قصص قصيرة، دار الكتب القطرية، قطر، 2013، ص7.

33المرجع السابق، ص8.

34دلال خليفة، أنا الياسمينة البيضاء: قصص قصيرة، دار الكتب القطرية، قطر، 2013، ص12.

35المرجع السابق، ص12.

المصادر والمراجع:

المراجع باللغة العربية:

جمال بوطيب، العنوان في الرواية المغربية (حداثة النص، حداثة محيطه)، ضمن كتاب الرواية المغربية وأسئلة الحداثة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، الدار البيضاء، 1996.

حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1991.

دلال خليفة، أنا الياسمينة البيضاء: قصص قصيرة، دار الكتب القطرية.

سميرة معزيز، بنية الشخصية في القصة القصيرة الجزائرية: طيناء وقصص أخرى "باديس فوغالي" أنموذجا، جامعة العربي بن مهيدي، الجزائر، 2010.

سناء العبيدي، الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن، 2016.

سناء العبيدي، الشخصية في الفن القصصي والروائي عند سعدي المالح، دار غيداء للنشر والتوزيع، الأردن.

صبري حافظ، القصة القصيرة في قطر: بيبليوجرافيا شاملة ودليل وصفي تحليلي، وزارة الثقافة والرياضة، قطر، 2016.

عبد الحق بلعابد: الرواية البيئية في السرد القطري (مقاربة في النقد البيئي لرواية دنيانا مهرجان ...الأيام والليالي لدلال خليفة)، مجلة أنساق، المجلد السابع، العدد الأول، 2023 .
https://doi.org/10.29117/Ansaq.2023.0173

عبد الحق بلعابد، عتبات (ج. جينيت من النص إلى المناص)، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، بيروت، 1998.

عبد الحق بلعابد، عنفوان الكتابة ترجمان القراءة (العتبات في المنجز الروائي العربي)، دار الانتشار العربي، ط1، بيروت، 2013.

عبد المالك أشهبون، العنوان في الرواية العربية، محاكاة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، سوريا، 2011.

فانسون جوف، وهو يتحدث عن مأزق الدراسات حول الشخصية في كتابه المهم: أثر الشخصية في الرواية، ترجمة: حسن أحمامة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، ط1، سوريا، 2012.

ماهر فهمي، ملامح القصة القصيرة في الأدب القطري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، 1983، ص20-22.

مجموعة من المؤلفين، النقد البيئي: مفاهيم وتطبيقات، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان،2022.

مجموعة من المؤلفين، النقد البيئي: مفاهيم وتطبيقات، مؤسسة الانتشار العربي، لبنان، 2022.

نجاة محمد، اقتباس وتوظيف المظاهر الجمالية لزهرة الياسمين وأوراق شجرة اللبخ في تصميم الثوب السوداني: دراسة فنية تطبيقية، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، 2016.

هاني علي، النقد الأدبي البيئي: قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية وممارسة تطبيقية على قصة "رأيت النخل" لرضوى عاشور، جامعة الفيوم، مجلة الدراسات الإنسانية والأدبية، المجلد 26، العدد 2، مصر، يناير 2022.

وداد نوفل، النقد البيئي الإيكولوجي بين التأصيل التأسيسي والمفاهيمي والطرح التطبيقي، جامعة المنصورة، مصر 2023.

المراجع باللغة الأجنبية:

Elliot Weeks, Novels of Character and Environment: Thomas Hardy's Ecological Thought, School of Humanities, Department of English, University of Bristol, 2021.

Knickerbocker, Scott. Ecopoetics: The Language of Nature, the Nature of Language. Boston: U of Massachusetts P, 2012.

Lawrence Buell, Ursula K. Heise, and Karen Thornber, Literature and Environment, Literature and Environment, The Annual Review of Environment and Resources is online at environ.annualreviews.org, This article's doi: 10.1146/annurev-environ-111109-144855

Ronald L. Sandler. Character and Environment: A Virtue-Oriented Approach to Environmental Ethics. New York: Columbia University Press, 2007.